قصائد أمريكية معاصرة

ما الشعر الأمريكى ؟

سؤال طرحه شاعر وناقد معروف هو م . روزنتال أستاذ الأدب بجامعة نيويورك فى مستهل دراسة له نشرتها مجلة « ديالوج »[٤٠] وأجاب عنه بأبيات من قصيدة للشاعر لويس سيمبسون بعنوان « الشعر الأمريكى » قال فيها :

أياً كان فلا بد أن يكون له
معدة تستطيع أن تهضم
المطاط والفحم واليورانيوم
والأقمار والأشعار .
وهو مثل سمك القرش
قد تجد بداخله « فردة » حذاء !
إنه لا بد أن يعوم
فى الصحراء أميالاً ،
وهو يصرخ صرخات تكاد تكون إنسانية .

وليست هذه حال الشعر الأمريكى اليوم فحسب ، ولكنها حاله منذ أيام رائده الكبير والت ويتمان فى القرن الماضى : فقد درج هذا الشعر على التجريب وارتياد الأراضى الجديدة ، وكان فى معظمه باحثاً عن الرى فى الهجير أو الدفء فى الصقيع ، ولا جئاً إلى الإنسان فى النهاية .

وقصة الشعر الأمريكى المعاصر هى نفسها حلقة من حلقات ذلك التجريب والارتياد . وكان التيار السائد فى هذا الشعر منذ العشرينيّات هو تيار « الحداثة » الذى نشأ متأثراً بالشعر الإنجليزى ولا سيما عند جون دون ويتس وإليوت . ولكن الستينيات ما لبثت أن شهدت تياراً آخر سمى تيار « ما بعد الحداثة » الذى نشأ هذه المرة متأثراً بما تجمع للشعر الأمريكى نفسه من تقاليد أرساها شعراء من أمثال ويتمان وهو بكنز وكارلوس ويليامز وإزرا باوند .

---

(٤٠) M.L. Rosenthal: American Poetry To- Day, Dialogue, Washington, 1975. Vol. 8. No. 2, PP 116- 126.

هذان التياران – كما هو واضح من طابعها الفضفاض – جمعا تحت مظلتيهما شعراء هذا القرن ، ولكن التيار الأخير تميز بكل ما فى أمريكا من تنوع وتكاثر وتباين ، وضم تحت مظلته عدداً من الخصائص المشتركة ، وظل سائداً ومؤثراً حتى اليوم . ولكننا نستطيع – فى محاولة لفهمه على الأقل – أن نجمل خصائصه فيما يلى :

• الارتباط الشديد ، أو قل الالتصاق بالحياة اليومية من حيث هى مصدر للتنوع فى التجربة والخبرة الذاتية والعامة على السواء .

• الانفتاح على الشعر العالمى وبعض الفلسفات والديانات الشرقية مثل الهندوسية والبوذية والزينية (اليابانية) وغيرها .

• استغلال إمكانات اللغة إلى أقصى حد برغم ارتباط هذه اللغة نفسها بلغة الحياة اليومية ، ولكن يبقى لكل شاعر أن يكتشف بنفسه المناطق التى هى أكثر حساسية فى اللغة .

• العودة إلى الذات من حيث هى مرآة تنعكس عليها ظواهر الحياة وتراكماتها .

ويعبر الشاعر عن ذاته بأدوات مثل : الاستبطان والاعتراف والإسقاط والأحلام .

* * *

يقول والت ويتمان الذى خرج من عباءته تيار ما بعد الحداثة :

إنى شاعر الجسد
وأنا شاعر الروح . . .
. . . أيها الولد الضال ،
لقد أعطيتنى الحب –
ولهذا سأعطيك الحب ،
حباً عاطفياً لا يعرف الكلام !

ويقول آلان جينز برج مؤسس جماعة شعراء ألبيتنكس التى سادت فى الستينيات ، يقول فى قصيدة بعنوان « سوبر ماركت فى كاليفورنيا » هذا نصها كاملاً :

يا للخواطر التى عندى عنك الليلة
يا والت ويتمان ،
فقد رحت أمشى فى الشوارع الجانبية
تحت الأشجار
مصدع الرأس

واعياً بنفسى
أنظر إلى القمر وقد صار بدراً .
وفى تعبى الجوعان ، وبحثى عن الصور الشعرية ،
دخلت السوبر ماركت المضاء بالنيون
الذى يبيع الفواكه ، وأنا أحلم
بما عندك من قوائم المشتريات
يالله من خوخ ويالها من ظلال ناقصة !
إن أسراً بأكملها تشترى بالليل !
إن أجنحة المحل وممراته غاصة بالأزواج !
والزوجات يتعلقن بثمار الأجاص ، والأطفال ،
يتعلقون بحبات الطماطم ! – وأنت يا جارثيا لوركا ،
ماذا كنت تفعل عند جناح البطيخ ؟
لقد رأيتك يا والت ويتمان ، رأيتك وقد تخليت
عن طفولتك ، وصرت شيخاً زرى المظهر وحيداً ،
تتسكع بين اللحوم المعروضة فى الثلاجة وترمق
غلمان البقالة .
سمعتك تسأل كلاً منهم سؤالاً :
من الذى قطع شرائح الخنزير ؟ ما ثمن الموز ؟
هل أنت مَلاَكى ؟
رحت أتبعك هنا وهناك ،
بين أرفف العلب المتألقة
ويتبعنى – فى خيالى – الشرطى السرى للمحل .
رحنا نمشى بخطوات واسعة فى الممرات المفتوحة ،
نمشى معاً ، وكل منا بداخل خرشوفة (وحيدة) رائعة المذاق ،
ونحصل على كل طعام شهى مثلج ، دون أن نمر بالصراف .
أين نحن ذاهبان ياوالت ويتمان ؟
إن الأبواب تغلق بعد ساعة .

إلى أىٍّ طريق تتجه لحينك الليلة ؟
(إنى ألمس ديوانك وأحلم بأوديسيانا
فى السوبرماركت وأحس بالعبث)
هل سنمشى طوال الليل فى شوارع مقفرة ؟
إن الأشجار تضيف الظل فوق الظل ، والأضواء
تنبعث من البيوت ، وكلانا سيجد نفسه وحيداً .
هل نتمشى ونحن نحلم بأمريكا الحب المفقودة
ونتخطى السيارات الزرقاء فى الطرقات ،
ونعود إلى كوخنا الصامت ؟
أواه ! أيها الأب العزيز ، ياذا اللحية البيضاء ،
يا معلم الشجاعة العجوز الوحيد ،
أى أمريكا كانت لك حين كف خارون عن دفع قاربه
ونزلت إلى ضفة يلفها الدخان ووقفت تراقب
القارب وهو يختفى على مياه نهر ليثى السوداء(٤١)

هذه القصيدة واحدة من قصائد جنزبرج الغاضبة ، ولعلها أقلها غضباً واحتجاجاً على الواقع الذى عاش فيه . وهو قد كتبها عام ١٩٥٥ إبان ازدهاره الشعرى ، وقد استصرخ فيها شاعرين كبيرين : ويتمان الأمريكى ولوركا الإسبانى ، وضمنها بعض رموز التراث الإغريقى مثل « خارون » المراكبى وهاديس أو جهنم فى الأساطير اليونانية ، و « ليثى » النهر المعروف فى جهنم الأسطورية هذه . وفيها إشارات إلى الوحدة والغربة والعزلة التى أحسها جيله ، ومع ذلك فالناس مقبلون على الاستهلاك والشراء برغم فقدان الحب والاتصال الإنسانى !

لقد ربط جنزبرج الشعر بالصعلكة وفلسفات الشرق والمخدرات وموسيقى الجاز ، وراح يقود فريقاً من الشعراء الشباب فى مطالع الخمسينيات ، ويتنقل بهم بين المقاهى والجامعات ، يقرءون الشعر ، ويستفزون جمهوره بصور وأفكار جديدة وجريئة معاً ومنذ ذلك الحين ازداد إقبال الجامعات والمقاهى والمكتبات على القراءات والندوات الشعرية ، على الرغم من عدم ازدياد إقبال

(٤١) Mark Strand, Ed. The Contemporary American Poets, A Meridian Book, New American Library, N.Y. 1975, PP 90-91.

القراء على شراء دواوين الشعر . فما زالت الدواوين الجديدة تطبع بأرقام محدودة لا تتجاوز بضعة آلاف !

* * *

جماعة البيتنكس هذه واحدة من جماعات عديدة ظهرت ابتداء من الستينات مثل : جماعة الأكاديميين ، جماعة الوجوه الشاحبة ، جماعة ذوى البشرة الحمراء ، جماعة السريين ، جماعة المحافظين ، وكثير غيرها . ولكن جماعة البيتنكس هى أهم وأشهر هذه الجماعات . . تأسست فى مدينة سان فرانسيسكو فى أقصى الغرب ، وجعلت من المدينة المطلة على المحيط الهادى مركزاً هاماً للشعر والشعراء مثل نيويورك المطلة على المحيط الأطلسى . وكان الهدف الأساسى للجماعة هو التحرر والدعوة إلى رفض المواضعات الأمريكية القائمة دون التخلى عن الأساس الهام لأى شعر ، وهو مناقضته للنثر . وبلغ بهم الرفض إلى حد تطبيقه على الملابس والهيئة ، فكانوا يطلقون شعورهم ، ويستعملون الصنادل والملابس غير الأمريكية !

وقد أكسب أفراد هذه الجماعة الشعر الأمريكى بُعداً سياسياً تدرج فى تطرفه حتى صار رفضاً تاماً ، وهوبعد عبرت عنه الشاعرة أدريين ريتش بقولها :

إن اللحظة التى
يدخل فيها الشعور الجسد
لحظة سياسية
واللمسة نفسها سياسية
إنى أحلم أحياناً بأننا
نطفو على الماء
يداً فى يد ،
ونغرق دون ما فزع .

كذلك أكسب الشعراء الزنوج هذا البعد السياسى نفسه حدة ونبرة عالية ، وقد ظهر بينهم فى السنوات الأخيرة عدد كبير من الشعراء أشهرهم ليروا جونز (ولد ١٩٢٤) الذى غير اسمه هذا واعتنق الإسلام منذ سنوات قلائل واختار اسما مسلما هو إمامو أميرى بركه ، وراح يكتب المسرحيات والقصائد بحمية كبيرة كلها احتجاج على المهانة التى يلقاها أبناء جلدته ، وقد نحا فى آخر دواوينه إلى الصوفية . والشعر الأسود فى رأى شاعر مثل دون لى (ولد ١٩٤٢) هو الشعر الذى يعكس التجربة السوداء ، ومن ثمة فهو أسود أولاً وهو شعر آخراً ، ووظيفته اجتماعية !

ومع هذا التنوع الشديد يظل الشعر الأمريكى المعاصر هو فن تحويل الحقائق البسيطة والعادية فى الحياة إلى فن وصور فنية ذات معنى ، وهذا ما عبرت عنه الشاعرة دنيس لفريتوف (ولدت ١٩٢٣) بقولها :

الحقيقة الرائعة تواجهنا
فى كل سكنة وحركة ،
فى كل هيئة وكرة حديدية ، وبيضة ،
وحصان أسود ، وظل وسحابة
من النسيم فى الهواء
إنها تسكن تلوينا المزدحمة
وحماماتنا المليئة بالبخار
والمطابخ المليئة بأشياء
تحت الإعداد
تسكن الشوارع العادية
وتقربنى من بسمتك
لدرجة أننا نعرفك
أيتها الفرحة المخيفة .

* * *

ولكن يظل السؤال قائماً : هل ثمة علاقة بين هذا الازدهار فى الشعر وبين ذلك الطغيان المستمر للمادة والآلة ؟

الجواب : يبدو أن هناك تناسباً طردياً بين الاثنين . . كلما طغت المادة وسيطرت الآلة ازداد إلحاح الإنسان على الروح والوجدان . فليس بالخبز وحده يحيا الإنسان . . حتى فى أمريكا !

* * *

وقد اخترت هنا ثلاث قصائد معاصرة تتجلى فيها خاصية تحويل الحقائق البسيطة والعادية فى الحياة والوجود إلى شعر ذى صور وأخيلة ومعان .

صاحب هذه القصائد – مارك ستراند – شاعر معروف (ولد ١٩٣٤) وأستاذ جامعى معروف أيضاً بدراساته الأدبية ومختاراته الشعرية القيمة . وقد تولى – لعدة سنوات – أمر ما يسمى « ورشة الشعر » بجامعة أيوا (غربى أمريكا الأوسط) ، وهى « ورشة » تستحق التنويه . سمِّها

معملاً أو مصنعاً أو مفرخاً ، فمهمتها الأولى هى احتضان المواهب الشعرية من طلاب الجامعة ، وتغذيتها بالمناهج المناسبة ، حتى إذا أنهى الطالب الشاعر الموهوب دراسته فى مرحلة البكالوريوس تطلع إلى مرحلة الدراسات العليا ، وهنا تتلقفه أيد خبيرة بالشعر تذوقاً ونقداً ، حتى إذا أراد أن يحصل على الماجستير بديوان من الشعر أمكنه ذلك دون أى التزامات سوى أن يكون شعره أصيلاً وواعداً . وما أكثر ما فرخت « ورشة الشعر » هذه شعراء موهوبين ابتداء من بول أنجل الذى نال الماجستير من جامعة أيوا عام ١٩٣٥ على ديوان شعره الأول ، إلى برت بلوم الذى نال الماجستير أيضاً عام ١٩٧٥ على ديوان من الشعر ، وهكذا !

ومارك سترانـد شاعر مفتول العضلات ، أنيق ، وسيم ، عذب الحديث ، له ثلاثة دواوين من الشعر وثلاثة كتب فى الدراسة والنقد . . شعره بسيط العبارة ، يحفل — كما سنرى — بأثرات عديدة من ثقافات متنوعة ، لعل على رأسها ثقافات الشرق ، ولا سيما الشرق الأقصى . وشعره أيضاً يسرى فيه خيط من الدراما ، ولكنها دراما الذات إذا صح التعبير : أى الدراما التى تصطرع فيها النوازع بالنوازع ، ويسيطر على قاموسها التكرار أو ما يشبه التكرار ، فى الصورة واللفظ معاً . كما أنه يخلو من التعقيدات والحيل فى اللفظ والصورة ، مما يحفل به الشعر الحديث — لا المعاصر وحده — فى عالم اليوم .

حياتى :

دمية جسمى الضخمة
ترفض أن تنهض .
فأنا لعبة النساء .

* * *

كانت أمى
تسندنى إلى صدرها كى ترانى صديقاتها ،
وتقول : « تكلم . . تكلم »
وكنت أحرك شفتى
ولكن الكلمات لم تكن تخرج .

* * *

كانت زوجتى

تنزلنى من على الرف
أرقد بين ذراعيها ، تهمس لى :
« نحن نعانى من مرض الذات »
ولكنى لا أنبس بكلمة .

* * *

أما الآن
فإن ابنتى تعطينى « بزازة » من البلاستيك
مملوءة بالماء ، وتقول :
« أنت طفلى الحقيقى » !

* * *

يا للطفل المسكين !
إنى أنظر فى مرايا عينيها البنية اللون
فأرى ذاتى .

مماتى

. . . الحزن ، لا شك ، والاضطراب ،
وتجمع الأقارب عند طرف المقبرة
يتحدثون عن الخراب ، والطقس يزداد كآبة ،
والمطر يجرى فى أعمدة مبهمة خارج الشاطئ .

* * *

هذه هى جزيرة الأمير إدوارد[٤٢]
لقد جئت إلى مسقط رأسى كى أعلن عن موتى .
كنت أقول : إنى سأعدو إلى البحر عدواً
ولا أنظر خلفى ؛
لأن الناس كانوا فى شدة الغضب .

* * *

---

(٤٢) فى شرق كندا .

أبلغتهم محاولات الانتحار التى قمت بها فى الماضى
وكيف جوعت نفسى حتى أصل إلى حجم لوسيل[٤٣]
التى أحببتها ؛ كى أسكن فى الفراغ البارد
الذى كان قد سكنه جسدها .
وإذ ذاك ذهلوا

* * *

مضيت أتحدث عن الوقت
الذى غطست فيه على شكل قوس
لقد امتلأ بضياء شمس الوداع
أما أنا فقد سقطت بين فخذى البحر
ورأسى على كتفى

* * *

وذات مرة
جلست عارياً فى الثلج ويدى تسدد مسدساً
بين عينى ،
ولما أطلقته ترعرع رأسى ودبت فيه الحياه ،
وسرعان ما تركونى وحيداً .

* * *

والآن ، هأنذا أرقد فى النعش
الذى صنعته بيدى ، والجو آخذ فى السوء
والندابون يهزون رءوسهم
غير مصدقين أن الكتّاب يموتون ،
وكأنما لم يكن علىّ أن أكون كاتباً ،
ولا كان على أن أموت !

---

(٤٣) حبيبة الشاعر.

مرثية لأبى

(روبرت ستراند ١٩٠٨ – ١٩٦٨)

١ – الجسد الخاوى :

كانت اليدان يديك ، والذراعان ذراعيك ،
ولكنك لم تكن موجوداً
كانت العينان عينيك ، ولكنهما كانتا مغلقتين لا تفتحان .
كانت الشمس البعيدة موجودة
وكان القمر الذى لا يتحرك على كتف التل الأبيض موجوداً .
كانت الريح التى تهب على حوض نهر بدفورد موجودة .
كان ضوء الشتاء الأخضر الباهت موجوداً .
كان فلك موجوداً .
ولكنك لم تكن موجوداً .
وعندما كان أحد يتكلم لم يكن ثمة جواب .
وكانت السحب فى الهواء الأعمى تهبط
وتدفن ظل البنايات على الماء .
وكان الماء صامتاً .
وكانت طيور الماء تحملق
وفى معاصم الآخرين دارت
السنون والساعات التى لن تجدك .
لم يكن ثمة ألم . فقد ولى الألم
لم تكن ثمة أسرار لم يكن ثمة ما يقال .
فقد نثر الظل رماده .
كان الجسد جسدك ، ولكنك لم تكن موجوداً .
كان الهواء يرتعش على جلده .
وكان الظلام يقبع فى عينيه
ولكنك لم تكن موجوداً .

٢ – إجابات :

لماذا رحلت ؟

لأن البيت كان بارداً .

لماذا رحلت ؟

لأن هذا ماكنت أفعله دائماً بين غروب الشمس وشروقها .

ماذا ارتديت ؟

ارتديت حلة زرقاء وقميصاً أبيض ، وربطة عنق صفراء ، وجوارب صفراء .

ماذا ارتديت ؟

لم أرتد شيئاً ، التحفت بتلفيحة من الألم أدفأتنى .

مع من نمت ؟

كنت أنام كل ليلة مع امرأة مختلفة .

مع من نمت ؟

نمت وحيداً . كنت دائماً أنام وحيداً .

لماذا كذبت على ؟

كنت أظن دائماً أننى أقول الحق .

لماذا كذبت على ؟

لأن الحق لا يكذب كأى شىء آخر ، وأنا أحب الحق .

لماذا تمضى ؟

لأن كل شىء لم يعد يعنى الكثير بالنسبة لى .

لماذا تمضى ؟

لست أدرى . لم أدر قط من قبل .

كم من الزمن سأنتظرك ؟

لا تنتظرنى ، إنى متعب وأريد أن أرقد .

هل أنت متعب وتريد أن ترقد ؟

أجل ، إنى متعب ، وأريد أن أرقد .

٣ – احتضارك :

ما استطاع شيء أن يوقفك .

لا اليوم المفضل ، ولا اليوم الهادئ ، ولا اهتزاز الماء فى المحيط .

ومضيت تحتضر .

لا الأشجار التى كنت تمشى تحتها ،

ولا الأشجار التى ظللتك ،

ولا الطبيب الذى حذرك ، الطبيب الشاب الأسمر الذى أنقذك مرة .

ومضيت تحتضر .

ما استطاع شيء أن يوقفك .

لا ابنك ، ولا ابنتك التى كانت تطعمك والتى جعلتك طفلاً من جديد .

ولا ابنك الذى كان يظن أنك ستعيش إلى الأبد .

ولا الريح التى كانت تهز ياقة سترتك .

ولا السكون الذى وهب نفسه لحركتك .

ولا حذاؤك الذى ازداد ثقلاً . !

ولا عيناك اللتان رفضتا النظر إلى الأمام .

ما استطاع شيء أن يوقفك !

جلست فى غرفتك ورحت تحدق فى المدينة .

ومضيت تحتضر .

ذهبت إلى العمل ، وسمحت للبرد باختراق ملابسك .

سمحت للدم بالانسياب فى جواربك .

واستحال وجهك أبيض .

وانشرخ صوتك فصار صوتين .

واستندت إلى عصاك .

وما استطاع شيء أن يوقفك !

لا أصدقاؤك الذين كانوا يبذلون لك النصح .

ولا ابنك ، ولا ابنتك التى راحت تراقبك وأنت تتضاءل .

ولا التعب الذى عاش فى تنهداتك .
ولا رئتاك اللتان كانتا تمتلئان بالماء .
ولا أكمامك التى حملت ألم ذراعيك .
ما استطاع شىء أن يوقفك !
ومضيت تحتضر .
عندما كنت تلعب مع الأطفال كنت تحتضر .
عندما كنت تجلس لتأكل ،
وعندما كنت تستيقظ فى الليل ، وعيناك مبللتان بالدمع ،
ودماؤك تنتحب ،
كنت تحتضر .
ما استطاع شىء أن يوقفك .
لا الماضى .
ولا المستقبل بطقسه الجميل .
ولا المنظر الذى تطل عليه نافذتك ، منظر المقبرة .
ولا المدينة ، ولا المدينة الرهيبة بأبنيتها الخشبية .
ولا الهزيمة . ولا النجاح .
لم تفعل شيئاً سوى أنك مضيت تحتضر .
وضعت ساعتك على أذنك ، أحسست بأنك تنزلق ،
رقدت على السرير ، وثنيت ذراعيك على صدرك ،
ورحت تحلم بالعالم خلواً منك بالفضاء الذى تحت الأشجار ،
بالفضاء الذى فى غرفتك ، بالفضاء الذى سيخلو الآن منك ،
ومضيت تحتضر .
ما استطاع شىء أن يوقفك !
لا تنفسك ، ولا حياتك ،
لا الحياة التى كنت تريدها ،
ولا الحياة التى عشتها ،
ما استطاع شىء أن يوقفك !

٤ – ظلك :

ظلك موجود ،

أعادته الأماكن التى طرقتها ،

أعادته ممرات الملجأ ومروجه العارية .

أعاده ملجأ باعة الصحف .

أعادته شوارع نيويورك كما أعادته شوارع مونتريال .

أعادته الزنزانات فى سجن بيليم[٤٤] حيث كانت السحالى تنقض على البعوض .

أعادته شوارع ماناوس[٤٥] المظلمة وشوارع ريو[٤٦] الرطبة .

أعادته مدينة المكسيك التى كنت تريد أن تتركه فيها .

أعادته مدينة هاليفاكس[٤٧] التى تخلّص منك ميناؤها .

ظلك موجود .

عندما رحلت طواك الماء ، دفعت قرقرة الماء البيضاء ظلك إلى أسفل ،

ولكنك حين وصلت ظهر ظلك ليحييك .

كان ظلك موجوداً .

رفعته عنك الممرات التى ولجتها وأعادته عندما اختفيت .

كان ظلك موجوداً .

حتى حين نسيت ظلك وجدته ، فقد كان معك .

ذات مرة فى الريف غطى ظل شجرة ظلك ولم تظهر .

ذات مرة فى الريف ظننتَ أن ظلك غطى عليه شخص آخر .

ولم ينبس أحد بكلمة .

ملابسك حملت بداخلها ظلك ، وحين خلعتها انتشر ظلك مثل ظلام ماضيك .

---

(٤٤) سجن من سجون البرازيل .

(٤٥) مدينة صغيرة فى البرازيل حيث عاش الأب فترة .

(٤٦) مدينة ريو دى جانيرو البرازيلية .

(٤٧) فى كندا .

وعاد إليك ظلك ، كلماتك التى طفت كالأوراق فى هواء مفقود ، فى مكان .
ثمة حجارة فى البحر لم يرها أحد .
كان أصدقاؤك يعيدون إليك ظلك .
كان أعداؤك يعيدونه ، ويقولون : إنه ثقيل ، سوف يغطى قبرك .
كانت زوجك تأخذ ظلك وتقول : إنها ستحفظه ،
ولكنها ماتت ووجدته أنت بجوارك على الفراش .
كنت تكره الشمس ، لأنها تأخذ ظلك فى الصباح ، وفى الليل تعيده ،
دون أن يستعمله أو يمسه أحد .
كان الليل رائعا ، لأنه كان ظلك ، وكنت ضخماً وأنت تحيط بالقمر .
كان الشتاء يأخذ ظلك الذى يرقد على الثلج كالعباءة الطويلة ،
ثم يعيده مع تنفسك .
عندما مت نام ظلك عند فم المدفأة . وأكل الرماد خبزاً .
كان يتهلل فرحاً بين الأطلال .
كان يراقب والآخرون نيام .
كان يضوى مثل بلورة بين المقابر .
كان يشكل نفسه مثل الهواء .
كان يريد أن يكون الثلج على الماء .
كان يريد أن يكون عدماً ، ولكن ذلك من المحال .
جاء إلى بيتى ،
حط على كتفى .
ظلك هوظلك . هكذا قلت له ، قلت : إنه ظلك .
لقد حملته معى أطول مما ينبغى وهأنذاأعيده .

٥ – البكاء :

إنهن يبكين عليك .
حين تستيقظ فى منتصف الليل ، ويتلألأ الندى على حجر وجنتيك ،
يبكين عليك .

إنهن يسحبنك ويعدنك إلى البيت الخاوى .
إنهن يحملن المقاعد والموائد إلى الداخل .
ويجلسنك ويعلمنك كيف تتنفس .
ولكن تنفسك يحرق ،
يحرق النعش ، ثم يسقط الرماد مثل نور الشمس .
إنهن يعطينك كتاباً ، ويطلبن منك أن تقرأ .
إنهن يصغين وعيونهن تترقرق بالدموع .
إن النساء يربتن على أصابعك .
ويسوين الشعر الأصفر داخل شعرك .
ويزلن الجليد من على ذقنك .
ويدلكن فخذيك .
ويلبسنك فاخر الثياب .
ويدعكن يديك ، كى تحتفظا بدفئهما .
إنهن يطعمنك ، يعطينك المال .
إنهن يركعن ويتوسلن إليك ألا تموت .
وحين تستيقظ فى منتصف الليل يبكين عليك .
إنهن يغلقن عيونهن ، ولا يكففن عن الهمس باسمك .
ولكنهن لا يستطعن سحب النور المدفون فى عروقك .
لا يستطعن بلوغ أحلامك .
أيهاالرجل العجوز ، لامفر .
لا جدوى من أن تستيقظ ،
فهن يبكين عليك ، وهذا أقصى ما يستطعن !

٦- العام الجديد :

أقبل الشتاء ، وحل العام الجديد .
لا أحد يعرفك .
فبعيداً عن النجوم ، عن مطر النور ، ترقد فى الجو الحجرى .

لا خيط يعيدك .
فأصدقاؤك ينعسون فى الظلام من المتعة ، ولايستطيعون تذكرك .
لا أحد يعرفك ، أنت جار العدم .
لست ترى المطر يسقط ، فالرجل يمشى بعيداً ،
والريح الموحلة تقذف رمادها على المدينة .
لست ترى الشمس تجرجر القمر كصدى لها .
لست ترى القلب الجريح يحترق ، وجماجم الأبرياء تتحول إلى دخان .
لست ترى الندوب على قلوب الكثيرين ، ولاالعيون التى انطفأ فيها النور .
لقد انتهى الأمر . . أقبل الشتاء وحل العام الجديد .
إن ضعاف القلوب يجرون جلودهم إلى السماء ،
واليائسون يعانون من البرد مع أولئك الذين لا يملكون شيئاً يخفونه .
لقد انتهى الأمر ولاأحد يعرفك .
ثمة ضوء نجم يتحرك على الماء الأسود .
ثمة حجارة فى البحر لم يرها أحد .
ثمة شاطئ وأناس ينتظرون .
ولكنّ شيئاً لا يعود ،
لأن الأمر قد انتهى .
لأن صمتاً حل محل اسم .
لأن الشتاء أقبل والعام الجديد حل .[٤٨]

* * *

(٤٨) Mark Strand. Reasons For Moving, Atheneum, N.Y. 1968, PP 114-128.